والدكتور نظام الدين مندوبا حيدر آباد . وتقسمنا السيارات فركبت أنا والأستاذ العبادي والأديب الصراف معاً ، وكانت صحبة الصراف فألاً سعيداً فى هذه السفرة ، فقد نعمنا بحديثه وإنشاده من الشعر العربى والفارسى وتغنيه بالأغانى المصرية . كنا كلما تمادى بنا السير وماطلنا المدى ، قلنا هات ياصراف ، فانطلق ينشد من محفوظه الذى لاينفد ، فيدوّى صوته على الجبال الشاهقة ، وفى السهول الفسيحة ، فننشط له نشاط الأبل للحداء . وسنذكر بعد طرفا من أحاديث الصراف . سرنا الى الحدود فى طريق ممهّدة مقيّرة ، فوقفنا قليلاً ؛ وجاء الينا رسول ايرانى فرحّب بنا وأعطانا دليلاً مكتوباً بالفارسية والفرنسية ، فيه طرف من أخبار البلاد التى نمرّ بها بين خانقين وطوس . وهناك تركت الرفيقين الكريمين ، وركبت مع صديق السيد عبد الكريم الحسيني مندوب حيدر آباد ، إذ كان فى سيارة وحده فأردنا أن نؤنسه فى السفر

بلغنا قصر شيرين بعد نصف ساعة ، فتوقفنا لشرب الشاى على الطريق . وقصر شيرين مدينة صغيرة على طريق خراسان ، وعلى نهر حلوان ، سميت باسم القصر الذى بناه كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) لامرأته شيرين

ولاتزال أطلال قصور كسرى قائمة الى الشمال والشرق من المدينة . وقد وصفها ياقوت فقال : « وفيه أبنية عظيمة شاهقة يكل الطرف عن تحديدها ، ويضيق الفكر عن الأحاطة بها ؛ وهى إيوانات كثيرة متصلة ، وخلوات وخزائن ، وقصور وعقود ، ومتنزهات ومستشرفات ، وأروقة وميادين ، ومصايد وحجرات ، تدل على طول وقوة »

ولاتزال ذكرى كسرى وشيرين وعاشقها فرهاد الرائز[1] ، والمغنى بلهبذ تطيف بهذه الخرابات ، وأساطيرهم تسمع فى هذه الأرجاء

وحلوان المدينة القديمة المذكورة فى الأخبار والأشعار قريبة من قصر شيرين . وكانت مدينة كبيرة عامرة ثم خربت منذ القرن الثامن ، فلم يبق منها إلا أطلال دارسة ، ونخلتا حلوان وقصصهما وما قيل فيهما من الأشعار من الأحاديث الدائمة

يتبع

عبد الوهاب عزام

(١) الرائز هو المعمار (Architecte)

فصول ملخصة فى الفلسفة الالمانية

١ — تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

للأستاذ خليل هنداوى

فصول لم نرد بها التحدث عن الفلسفة للفلسفة ، ولكنا أردنا بها أن نبدى تأثير الفلسفة فى تطور الأدب الألمانى ، وما كان لأصحاب الفلسفة من فضل عميم على هذا التطور الذى أصاب جميع حقوله الأدبية

الكاتب

تمهيد

الفلسفة الالمانية قبل (كانت)

كانت تستمد ألمانيا مادة فلسفتها وأدبها من فرنسا طيلة القرن السابع عشر ، والفلسفة الديكارتية[1] هى الفلسفة التى كانت تتطارحها الجامعات الألمانية ، (وليبنيز) (١٦٤٦ — ١٧١٦) هو أول فيلسوف استطاع أن يبث الحياة فى عروق الفلسفة الألمانية وينهب بها فى مضمار التقدم شوطاً بعيداً ، كتب الفلسفة باللغة اللاتينية طوراً ، وطوراً بالفرنسية ، وهما اللغتان السائدتان يومئذ ، ولعل شيوعهما واستئثارهما بالكتابات الفلسفية كان يقرّب كثيراً بين المفكرين والأدباء حتى يغدو هذا التقريب أحد الأسباب العاملة على تشييد صرح اللغة وتزيينه وتجميله بما يستطيع فكر ناهض أن يضعه ؛ ولكن علة (ليبنيز) أنه كان يتناول المسائل الفلسفية كمادة فنية تلهو بها نفسه ، وهو خلال ذلك قد يعالج المسائل الكبرى ، كمسألة الحياة والوجود ، وقد يوفّق فى الأجابة عنها توفيقاً كبيراً ، ولكنه كان واحداً من كثيرين ممن يعالجون الفلسفة ، ولا يعملون على لم أفكارهم حتى تكون مذهباً خاصاً يضم منها الآراء الناضجة وفكرتهم الخاصة فى الحياة ؛ وجل ما وصل إليه فى فلسفته أن عالج الجبر والاختيار ، ومعرفة الله وعلمه بالمستقبل ، والعناية الالهية ووجود الشر ، وألف مذهبه فى (التفاؤل Optimisme) الذى يرضى عن الوجود ويحبّب الوجود إلى الانسان ، هذا المذهب الذى سخر منه (ڤولتير)

(١) نسبة الى ديكارت الفيلسوف الفرنسى الذى يعزى إليه تطور الفلسفة الحديثة

فى مقطوعته زلزال (ليزبونة) [1] وفى روايته (كانديد) ، وخير كتب ليبنيز الخالدة كتابه (la monadologie) ، وفى هـذا الكتاب يعلن انفصاله عن المذاهب المتقدمة ومروقه من مذهب ديكارت الذى جعل من الكون جزأين : أحدهما عالم الأرواح والآخر عالم الأجساد . فجاء ليبنيز ونقض هذا المذهب ، وأحل محله مذهب (الجزء [2] الفرد la monade) الذى لا يتجزأ ولا يفنى ، وشأنه فى مذهبه هذا كشأنه فى غيره يفتقر إلى ترتيب وتوفيق وتوحيد

وهذا العمل الذى كانت تفتقر إليه آثار (ليبنيز) إنما أتمه وشذبه من بعده الفيلسوف الصارم (وولف) الذى نزع عن فلسفة ليبنيز الخيال والشعر وشد وثاقها بالحقيقة ، ونفى عنها شيئاً وزاد عليها شيئاً حتى غدت أجزاؤها متآلفة متداخلة كأنها أعضاء فى جسد واحد . وقد كان له تأثيره العظيم فى الأدب الألمانى والفلسفة الألمانية بشهادة الفيلسوف (كانت) ، لأنه هو الذى خلق فى الألمانية لغة للفلسفة خاصة ، وهو الذى فتح آفاقاً واسعة فى التعبير والأداء لمن بعده ، فهان على هؤلاء أن يجلوا وأن يحلقوا ما استطاعوا ؛ ومن هؤلاء (كانت) نفسه ، الذى كانت له صفحات خاصة تشدو بالمزايا التى أسداها (وولف) الى الأدب والى الفلسفة

على أن الأندية الفلسفية قد تغض بصرها عن كل ما شاد هؤلاء فى صرح الفلسفة ، وتعتقد أن الفلسفة الألمانية إنما كانت قبل (كانت) غيهباً ممدوداً ، وأن الذى محا هذا الغيهب وبعث النور فى خلاله هو الفيلسوف العظيم (كانت) الذى تزعزعت له الأندية الفلسفية والأدبية ، وكانت له فيهما جولات يعزى إليها كل ما غمر الحقل الأدبى والفلسفى — فى ألمانيا — من خصب ومن إنتاج

كانت (KANT)

١٧٢٤ — ١٨٠٤

حياته : فلسفته : تأثيره

حياته

كان (كانت) فى التاسعة من عمره حين فقد والده ، فكفلته أمه ونشأته تنشئة عالية ، فدرس فى بدء عهده اللاهوت ، كما هو العهد فى دراسات تلك العصور ، ثم درس الرياضيات ، ثم الفلسفة ، حتى اذا أتم عهد الدراسة عرض له هم المعيشة ، الهم الذى كان يوقر ظهره فى جميع أدوار حياته ، فرضى بأن يُدرس فى مواطن خاصة ، وهو خلال ذلك يتفرغ الى الدرس ، ويُلم بجميع العلوم التى تواتم الفلسفة . وفى عام (١٧٧٠) أُسند اليه كرسى خاص لتدريس الفلسفة ، وقد عاد أمره الى الضيق ، وحريته الى الأرهاق فى عهد فردريك غليوم ، إذ تدافعت عليه الوشايات يخلقها حسد القوم ؛ ولكنه ظل مثابراً على العمل حتى عام ١٧٩٧ . وقد كان لعهده هذا تأثير بليغ فى نفوس طلابه الذين جالت براعاتهم من بعده فى صحف الأدب والفلسفة ، وهو الذى يوصى زملاءه فى إحدى محاضراته : « بأن يحذروا كل الحذر من أن يُلقوا فى نفوس طلابهم أن العلم بالغ أوج الكمال ، أو أن يعلموهم ماهى ماهية الفلسفة ، وإنما ينبغى لهم أن يلقنوهم كيف يتفلسفون ، وأن يساعدوهم — لا أن يحملوهم على ظهورهم — إذا أرادوا أن يعلموهم الدروج على الأقدام » . والحق يقال إن (كانت) لم يُخلق إلا ليعيش فيلسوفاً ، ولم يُلاق منه مذهبه إلا قريناً يحيا به ومعه ، ناهيك ببعض مآثر رواها عنه القوم ، تدل على ما اتصف به كانت من حب العمل والنظام والتوقيت ومواصلة الجهود الجبارة فى سبيل دراساته المتتالية ، فقد كان الرجل موفقاً كل التوفيق بين مذهبه وسلوكه ؛ قد سن لكل شىء نظاماً ، واتبع هذا النظام كأنه الرسول يأمر وهو أول من يأتمر

وكانت آخر كلمة له هذه الكلمة حين لقى حتفه عام ١٨٠٤ : « إنه حسن ! » كأنما يريد أن يقول « لقد عشتُ كما كنتُ أودُّ أن أعيش »

***

فلسفته

بدأت فلسفة « كانت » تنمو شيئاً فشيئاً شأن كل فلسفة ، وإنما تميزت من غيرها بطابع الاستقلال الذى انتحى بها ناحية جديدة ، فقد تأثر كانت بمن تقدمه من الفلاسفة واتخذ غذاءه العقلى منهم ، وما كاد ينشأ ويترعرع ويشتد ساعده حتى أعلن انفصاله عنهم ونهج منهجاً جديداً اختطه لنفسه

(١) سبقت ترجمة المقطوعة للكاتب فى الرسالة

(٢) الجزء الفرد كائن بسيط يدخل فى المركبات ، لا جزئية فيه ولا مساحة ، ولكنه يتصف بصفات ، ومنه تتكلب عناصر الطبيعة ... (ليبنيز)

وفى كتابه (آراء فى التقويم الحقيق للقوات الحية) حيث أراد أن يوفق فى الفلسفة الطبيعية بين ليبنيز وديكارت يقول : « قد أتمثل أن هنالك لحظات لايغنم الانسان فيها أن يعتمد على قوته ، إن هذا الاعتماد ليولد فينا جهوداً متواصلة ، وعنجهاسبيلاً يفيدها فى سعيها نحو الحقيقة ، وجيل بنا أن ننخدع ألف مرة ، لأن الضال المنخدع ليعمل على خدمة العلم أكثر ممن لايسلك إلا السبيل المطروقة . . . إننى هنالك سأخطأ . . . وقد سلكت السبيل التى أردتُ أن أتبعها . . . . سأسلكها ولن يقف سيرى أحد »

إن هذه الثقة المطلقة بالنفس بدأ يظهر فضل إنتاجها فى فلسفة « كانت » لأنها فرضت عليه أن يخط سبيلاً جديدة ، ويطلع على الناس بمدرسة للفلسفة جديدة ، وهل كان العصاميون إلا أبناء اعتمادهم على أنفسهم ؟ وقد ظهر أول إنتاجه فى كتابه (تاريخ الطبيعة العالى ، ومنهج السماء العام ، وتجربة على الأصل الميكانيكى للعالم حسب قوانين نيوتن) ، فكتابه هذا هو تجربة ميكانيكية سماوية مؤسسة على علم الطبيعة . فالعالم نيوتن لم يسن إلا قانون الحركات السماوية . وعند ما أتى على درس أصل هذه الحركات ناط الأصل بالأرادة الآلهية التى يذعن لها كل شىء ، ولكن « كانت » أدرك أن القانون الذى أفاد فى تعيين مذهب الوجود ، ينبغى له أن يحلل مركباته ، وأن القوات التى تحفظ الوجود ينبغى ألا تختلف عن القوات التى أبدعت الوجود . وأخيراً يفترض فى بيان أصل الوجود أن مادة (Hamogene) متشابهة مؤلفة من أجزاء متشابهة تقودها حركة دائرة ، وهى تتشكل وتتنوع بحسب ما يحتوى باطنها من قوة وفاعلية ، ثم يصف الخلاء (أو الفراغ) ، وقد استحال جواً غائماً ، وشموساً وسيارات وأقماراً ، ولكنه فى الحقيقة لم يزد شيئاً ، إلا أنه سار بالمسألة التى وقف نيوتن عليها ، وهذه المسألة المبهمة هى عديمة الحل فى ذاتها ، إذ ليست الحياة إلا العمل الدائم نقبله على وضعه ؟ وفصول أخرى جاءت فى الكتاب تنمرها أنفاس شعرية تبدى لنا (كانت) فى عهد كان لا يفر من عاطفته ، وقد تراه فى بعض صفحاته يسوق اليك نظريات قد استغلها (لابلاس) نفسه بعد خمسين عاماً

كانت العلوم الطبيعية هى شغل (كانت) فى جميع أدوار حياته ، وهذه العلوم هى التى فتحت لنفسه أفقاً جديداً تركها لا يقنعها مدى الأفق الضيق الذى تخلقه الدوسة ، حتى إذا مرّت عليه أعوام عاد اليه حنينه الى الفلسفة المقصودة بذاتها ، فحارب المذاهب الهندسية التى تمنى بالبراهين المنطقية ولا تمنى بالبراهين العملية ، وقد وضع كتاباً خاصاً ناضل به أصحاب العلم النظرى

يستشهد (كانت) بكلمة لأرسطو « ترانا حين نكون شيوخاً نعيش سواء فى هذا العالم نفسه ، ولكننا عند ما نسترسل فى الأحلام والأوهام فكلٌ منا له عالمه ... » ثم يقول : « وحين يبني الناس دعائم الوجود كلٌ بحسب رغبته ، فليأذنوا لنا بأن نقول : إن هؤلاء الناس يحلمون ! ولكن هل يدفعنا هذا الى القول : أن كل علم نظرى فاسد ؟ لا . لأن العلم النظرى قد يسد حاجة من حاجات عقلنا ، ولكنه لن يكون ناجحاً مفيداً إلا إذا كان موثقاً بمجال معرفتنا . ويقول كانت : إن العلم النظرى له عملان : يجيبنا فى الأول على أسئلة كثيرة يخلقها العقل الطامح إلى كشف أسرار الوجود ، وهنا يكثر انخداعنا بنتائج تأتينا على غير ما نتوقع ؛ وفى العمل الثانى يُبين لنا ماهية المسألة التى نعالجها وموضعها من حدود إدرا كاتنا ، وإمكان اتصالها أو استحالته بتجاربنا ومعارفنا . وعلى هذا نرى العلم النظرى إنما هو معرفة لحدود العقل البشرى ، وهو كالبيت الصغير ترى حدوده دائماً كثيرة ، وإنما ينبغى لهذا العلم أن يكون أكثر شغفاً بالمعرفة ، وأشدَّ صيانة لما يملكه ، لأن ذلك أجدى عليه من انتصارات جديدة يركض وراءها ركضاً أعمى لا يغنيه شيئاً

هذا هو رأى كانت فى العلم النظرى ، وهذا الرأى نفسه هو الذى خلق كتابه (نقد العقل الخالص) هذا الكتاب الذى أظهر مزية (كانت) وعلو كعبه فى الفلسفة ، وكان له التأثير العميق فى فلسفة أوربا الحديثة

خليل هنداوى

تصويب

وقع فى مقال (لويجى بيرانللو) المنشور فى العدد الماضى خطآن مطبعيان نرجو اصلاحهما . فى آخر صفحة ١٩٨٩ : يريد بيرانللو ، والصواب : يرى . وفى صفحة ١٩٩٢ سطر ١٥ : (الاكتشاف) حقيقة كانت مجهولة عن طريق الحركة ، والصواب : وليس عن طريق الحركة